

البناء

ناصر قنديل

تعود المشاركات المميزة إلى حديث الجمعة هذا الأسبوع، وفيها كلامٌ في سورية وسرّها، وفي الحبّ والوجدانيات. كما تعود زاوية «قالت له» ومعها حكاية عن الحبّ والوفاء. أما الجديد في زاوية «المختصر المفيد»، أنها سنتحو نحواً جديداً بدءاً من هذا الأسبوع، إذ ستُنشر في «البناء» اللبنانية و«الشروق» التونسية كلّ صباح جمعة.

مختصر مفيد*

العرب والتقدّم إلى الوراء بين الثنائية التركية ـ الفرنسية

فسقط الوطن بعدما سقطت الأمة، وصححنا خطأ مطلع القرن ومنتصفه لأننا مرة ظلمنا الأتراك ومرة ظلمنا الفرنسيين، فرددنا لهما معاً الاعتبار كملهمين لثوراتنا وأضفنا لهما مرجعية فكرية تقدمية نياهي بها العالم، هي عائلة حكام الجزيرة بثنائيتها العائلية الحضارية التي انطلقت لنا أول منتج إعلامي حر بقناة فضائية تحدد لنا العدو والصديق ويخبرنا عبرها المفكر العربي عن الثورات. وجاءت لنا بأول إنجاز حضاري هو أولمبياد 2022 لتتعلم كيف ندخل المعادلات الدولية ولا نقع في ملاحقة المحاكم بثمة الرشوة.

. في مطلع القرن الماضي كان يقف لبنايون وتوانسة وفي كل بلاد المشرق ويقف شبائنا العربي يقدمون رقابهم للمستعمر ينشدون نغمت نحن ويحيا الوطن، ويرددون أشعار أبي القاسم الشابي «إذا الشعب يوما أراد الحياة». واليوم نياهي بأن خيرة شبائنا تذهب لتقاتل في سورية، ويذهبون مستوطنين جددا على الطريقة الصهيونية إلى العراق يهجرون سكان البلاد ويقومون خلافتهم. فقد انتبهنا انه طالما لا يدّ من القتل والاستيطان والتهجير فلماذا لا نقوم نحن بالمهمة بدلا من أن يقوم بها الأجنبي، وفي منتصف القرن كان شبائنا العربي يتباهى بالتطوع للقتال في فلسطين. وما هم شبائنا يهبون للتطوع للقتال في سورية، لأننا بعدما نجحنا بإسقاط الأمة لحساب الوطن وأسقطنا الوطن لحساب الدولة وأسقطنا الدولة لحساب السلطة، بقي من يورّق سمعنا بالحديث عن الأمة والوطن ما يستوجب تأديبه. فهبّ العرب هبةً رجل واحد لإسكات الضجيجة السورية، كي يتراح الضمير، فما لم تفعله فلسطين فعلناه في سورية، واستل العرب سيوفهم التي تخمست بالدم اللبيني لتتجدد لقطع رأس سورية، فيتم الصمت الذي يحتاجه الثنائي الفرنسي ـ التركي وتفرح به ثورات الحرية، ولم يرف لهم جفن عندما أبغهم حرب «إسرائيل» موثي يعالون أن حكومتهم تأتمن تنظيم «القاعدة» بفرعها الشامي «جبهة النصرة»

على حدود كيانها، وبقيت عندهم ثورة حرية. .بقي في فلسطين من يقاوم وبقي في لبنان من يحمل راية المقاومة وبقي في تونس من يحيي عيد المقاومة، وبقي نبض لم يتوقف ودم لم يتعفن، وعقول وقلوب لم تنطفئ؛ شعلتها ولا تزال تؤمن بأن السلطة التي لا تظللها دولة هي مشيخة بدوية لا تحتاجها، والدولة التي لا تصلي في محراب وطن ويشكل استغلاله أيقونة بنين ويشكل جيشه درعا لمواطنيه هي صنم لا يعبد، وأن الوطن الذي لا ينتمي لأمة يفخر بها وتفخر به يستقوي بها وتستقوي به هو قطعة حلوى في الصحراء يأكلها الذباب، وأن الأمة التي تنسى فلسطين يعرف مستعمرها أنها تعقل ذلك جنباً وخوفاً فيكتشف نقطة ضعفها التي سيستنزف عبرها منها كل عناصر العزة والكرامة وصولاً لدفعها تبعب مستشفياتها ومدارسها ومحطات الكهرباء وشبكات المياه والطرق لشركاته بقوة الخوف نفسه الذي باعت بسببه فلسطين.

. بذرة الأمل أن ينهض بيننا هؤلاء الشباب يهتفون لفلسطين والمقاومة، بدوهم إيمان عميق بأن الاستقلال مدماك الحرية الأول، وأن الأمة هوية تأسيسية لأوطاننا، وأن هذا الوعي الذي أخذ شبائنا في القرن الماضي إلى فلسطين ما كان حماسة ولا انفعالا، إنما فعل يقين بأن لا أمن لأوطان لا تسورها هوية الانتماء لأمة، وأن أمن الأمة وخط دفاعها الأول في فلسطين وأن سورية هي جبهة القتال، لكن من جولانها ولبنان ولكن من جنوبه، والأردن ولكن من بحره الحي قبل أن يموت، ومصر ولكن من سيناء والعريش حتى تزهر عناقيدها وتغدق ثمرا، عناقيد لا تنام عنها نواطيرها ولا يسرقها كافر آخر، فلا تضيع أندلس ولا تسقط غرانة بأيدينا مرة أخرى.



سرّ سورية

كان بوذا ذات يوم يتمشّى في الريف، فقابل مزارعاً في طريقه. فانبهرك ذلك المزارع باطلالة بوذا وكان نوراً ساطعا يحيط به.

فسأله المزارع: «من أنت يا صديقي؟ فانا أشعر أنني آقف أمام ملاك أو إله ينبع النور من وجهه!». فجاوبه بوذا: «أنا لست أنا من هذين».

فقال المزارع: «لعلك مشعوذ ذو قوة خارقة؟».

فاجاب بوذا: «لست كذلك أيضا».

فاستغرب المزارع وأردف قائلا: «إذاً، ما الذي يجعلك مختلفاً جداً عن الآخرين لدرجة يلاحظها حتى فلاح بسيط مثلي؟».

فاجاب بوذا: «انا مجرد شخص أوقف ليرى الحياة على حقيقتها. هذا كل ما في الامر. لكنني أقول ذلك للجميع ولا أحد يصدقني».

كل العالم يراقب بدشة سنبله القمح سورية، ويستغربون من أين أتت كل هذه القوة، ومن أين ينبع كلّ هذا الصمود الذي لم يكن يتوقّعه أعنى المحللين لديهم. وكانوا ينتظرون سقوطها بعد أسابيع أو أشهر في أحسن الأحوال. وفجداً ضربينا بأوامهم عرض الحائط. وكنا منذ البداية نقول إن سورية مختلفة، وكانوا يهزأون ويقولون كل البلاد متشابهة، ولا يمكنها الصمود أمام اجتثاث العالم ضدها. واثبتنا مجددا أنهم لا يفقهون. سورية ليست مجرد بلد، إنما هي روح خالدة وصانعة تاريخ شاء من شاء وابتى من أبى. وعلى رغم أن الحرب عليها اليوم هي من أخطر الحروب التي تشنّ لأنها ليست عبارة عن مواجهات بين الجيوش، إنما هي مواجهة بين جيشنا وبين مرتزقة مدربين ليصبحوا بيديا عن الجيوش النظامية في الكثير من الحروب الحديثة للتخفيف من سخط الشعب الأمريكي على استهلاك جنوده في حروب مهلكة. إضافة إلى منظرّفي «القاعدة» والإخوان المسلمين الذين تدربوا على حرب الشوارع والعصابات، ولا يأنهون بمن يقتلون في سبيل تحقيق الأهداف الصهيوي ـ أمريكية. ولكن، مع ذلك، استطاع جنودنا أن يكونوا على قدر المسؤولية. واستطاع شعبنا أن يقاوم على طريقته الحروب الإعلامية والطائفية التي تشنّ بالتوازي مع القتل والتدمير.

لمن لا يزال يستغرب نفدّر سورية وتميّرّها نقول لهم: لقد رضعنا من أمهاتنا الكبرياء، وتعلّمنا من جبالنا الشموخ، ومن تراب أرضنا المروي بدماء الشهداء على مرّ الأزمان أن أرضنا مقدّسة ليست للبيع. وتعلّمنا من جحافل الغزاة التي خرجت مدمجورة مهزومة مُدلولة بالعار، أن سورية لا تمسّ ولا ترعج. وتعلّمنا من المنبطحين أنّ ثمن الوقوف غال. ومن العبيد أنّ حرّيتنا ثمن من أنّ نقرّط بها، ومن جوارى أميركا وغلّمان الصهيونية ومعضّي الأعراب أنّ الرجولة طريقة حياة لا استعراضات أموال. ولذلك، سنبقى نبعث الدهشة يوما بعد يوم، وسنبقى متفريقين في اختلافنا أقوىءا في مواقفنا. وسنبقى سورية تشعّ نورا حتى لو غرق العالم كله في الظلام.

صباح من صارت بطولاتهم أساطير تُروى... صباح من يذكرهم يُقدّس الكلام... صباح الجيش السوري الأبى.

حديث الجمعة



قالت له

قالت له: لو تعلم كم تستكنني صورتك وتعيش في نسيج روعي شخصيتك، وأراك الرجل الذي لا مثيل له بين الرجال، بعدما قرّرت أن أعرفّ إلى غيرك منهم. وعرفت بينهم من أعطاني من حلو الكلام ما كنت تقوله لي، ومن وعديني بجميل الأيام ما كنت تضعه بين يدي بلا وعود. وعرفت من رسم لي وعودا عن مكانة وقيمة سأنالهما لمجرد وجودي قربه وأخذها بيدي بعدما كنت أخذتني منها ولملمت أشلائي، وصنعت منها ولها مجددا ومكانة وقيمة. ظننت مع كل منهم أنني سأنال الكثير مما نلت قليله معك. لكن ما كان منهم، كان كلاما ووعدا، وما كنت تتكلم ولا تعد، بل تفاجئني أنك فعلت لكنه الفعل الذي يقلّ عما يختزّنه الكلام، وتعبّر عنه الأحلام وقد عشت أحلاما أحسستك فيها طيبا، إنما محدود القدرة. وأحسست أنني أستحقّ الأفضل. وها أنا الآن وقد عدت إليك أعلم أن ما لديك لي دائما سيبقى الأفضل والأمثل، ولا أحلم بسواه. فهل تعلم أن هذا دليل على أنني احبك الان أفضل مما أحببتك من قبل، وأن تعلقي بك أعمق من تعلقي الأول لأنني الآن لا أريد منك شيئا ولا أتطلع لشيء معك، إنما اكتفي بأن أراك عن بعد وأعيش وجودك داخلي مهما كان اسم الذي سيكون بيننا. فقد أيقنت أنّ العلاقة بالرجال بمن فيهم أنت ليست شيئا أريده، وأنني قرّرت أن الزواج هو عقد شراكة بالعقل والمصلحة وبيرودة عقود الشراكة وجفافها، التي تقوم لمشروع يديره اثنان. والأسرة هي من هذا النوع من المشاريع، زواج مع شريك أمين على عائلات المشروع، ويمتنع عن شراكات المضاربة. فهل سأنال ما أريد؟

فقال لها: الحزن المخيم على كلماتك لن يدوم، لكن الأكيد أن فيه صدق المشاعر ووصلتني رسالتك وأقدرها. وسأبقي وفيأ لها. لكنك بعد هذا النضح ستجدين حبّك الكبير وتجدينني أنا من يراقب عن بعد، ويكتفي بالمكانة التي تضعينه فيها ضمن حياتك. فألحظ الحزن ثنائية يتناولها العشاق حتى يقع حبّ أقوى يسرق الحبيب من حبيبه. و طالما كنت الأشدّ شجاعة على المجازفة مع الأقل، فسفتوزين بها مع الأكثر.

عودة... لا عودة!

قالت له: أنّ لنا أن نضحو. لا المطر هطل، ولا الأبار أعطت ماءها. تمر الأيام بطيئة خاوية، سقطت معها كل الأمال. هدهو خانق يخيم. وحدها فكرة ملحة نمت داخلي كما تنمو شجرة الأرز عنيدة أصلية. الحياة لعبة، وما عادت تعجبنى. حرّيتي عبء ثقيل، وعياني تغلق الأفق عليّ. تعال يا ابن بلدي إلى الوطن نشدّ الرجال. اتعلم أنني انتظرت طويلا؟ لن انتظر.

قال لها: نرجع إلى وطن ما زالت نيران الحرب فيه مستعرة. وموت عبيّ يترصّص على قارعة الطرقات. متى كرهت الحياة؟ مات أمك وحرمتنا سعادة الشباب. أنا لا أريد تعديك، لكن تذكرني الأيام القاسية التي مضت. تذكرني الدماء.

قالت له: أن أخطو إلى موتي ببسالة، خطوة وراء خطوة. أقل إبلاما من أن أحيا أجزاء إنسان. هنا جسد، وهناك في الوطن فكر، وقلب، وعيون وأشواق. بلادي صارت بعيدة جدا، وأخاف الأرازا. لا أريد أن أعيش بحكم العادة.

قال لها: أنا لم أولد إلا في عيذك. ومعك صنعتنا أصدق الأحلام. أريد لحيتنا أنغدو كبيرا وجميلا. لذا هربنا إلى الأمان. ندوبين كاشمعة أمامي وتهنرين من بين الأصابع. الألم يعترض كياني. هناك حرب، موت وخراب. وهنا ترقب، حزن وانتظار. أي خطيئة ارتكبتها تستحق هذا الانتقام؟

قالت له: لطالما كنت أحمل حقيقتي وأمضي. لكنني أنتظر. أنتظرك. ليس عندي ما أقوله بعد. أنت أعلم مني بكل شيء. أنت لي كل شيء. تعال معي. فلما نموت معا، أو نزرع جنة خلاصنا على أرض الوطن.

موتى ينعون حيّا

لا أنا ميتّ مرزّق التركوني! هلا تركتك لي سياتي ويقايما من حياتي أنا قاسيون من النصر وجوديّ وبشار غمام وسلام التركوني أسروا مني الجنان قطعوني ثائر الجنحمان: لا لسان، ولا عندي يدين قدمين... ناظرين وإذا الأرض اثنتان زارت زينب تدمر منذ دهر قريتان... معلمان بين أحمد والمسيح ها أنا كليّ إلى الأرض... مكان ها أنا كليّ إلى الوقت... زمان انظروا، يبسم في الأفق شأم وإذا الأخضر فيه نجمتان وإذا الحرب وحرفاها اللذان: أكل البراء الذي بينها عاد السلام أصحيحّ يا أخى عاد السلام... يا سلام! لجواب! أنا ابنتي التركوني	كان يا ما كان... من حكايات أصحيحّ يا أخى عاد السلام؟ قتلوا حتى بكاني وهديل الفكر قتلوا قلبي، براقبي وحقول الشعر أسروا يومي وأمسي وغدي حرفوا بيتي وطفلي ويدي واستباحوا المسجد الأقصى فلا مسجد لا... ولا... حتى مسالم هو في الليل مساوم! التركوني... من جنوب وشمال كلنا اليوم جبال من رجال! حسبي اليوم إلى النصر مقاوم جاء زير الموت يسعي جاء زير آخر يسعي وينعي! جاء حشده... جاء أسيداء وعبيد! جاء ضوء... جاء غاق! كلهم موتى قد انقضوا على مثل العراق... في زقاق! شرحوه... وهو حيّ بينهم في رسم ميت شرحة حبرا... شرحة صبّرا وعليه قد تنساقوا من كعبت ثم قالوا: إنه أصبح ذكرى... صار قبرا أترائني أصير وهم يستغمرونني لبيتني لاأمّر... لاأمّر لو أرا موتى كرموني وأنا حيّ أرزق
رائيا الصوتص	


